المجلد: 18 العدد: 02/مارس2023
ص: 556 - 572
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

التطورات السردية والمتغيرات في الرواية العربية -رواية "أعشقني" لسناء شعلان أنموذجا-

Narrative developments and changes in the Arabic novel

The novel "I Love Me" by SanaaShaalan is a model

آمال غزلان *[1]، ميهوب جعيرن*[2]
[1] جامعة عمار ثليجي ، كلية الآداب و اللغات ، الأغواط (الجزائر) مخبر علوم اللسان
aml.ghozlane@lagh-univ.dz
[2] جامعة عمار ثليجي ، الأغواط (الجزائر)mihoubjirane@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/09/30	تاريخ القبول:2023/01/25	تاريخ النشر: 2023/03/28

****

ملخص :

هدفت هذه الدراسة الموسومة ب"التطورات السردية والمتغيرات في الرواية العربية –رواية "أعشقني" لسناء شعلان أنموذجا– إلى طرق أهم القضايا المتعلقة بالرواية في العصر الراهن ذلك أن التجديد جسَّدَ المغايرة والتمرد على سلطة النموذج الروائي التقليدي عند كاتبة رسمت لنفسها خطا إبداعيا .

إن ما يهدف إليه هذا المقالهو استجلاء ملامح التجديد والتطور التي وظفتها سناء شعلان باعتبارها من الكتاب الذين استقطبت رواياتهم القارئ وأثارت فضوله لِيَسبر أغوار متونها ويكشف سراديبها و كذا مساءلة طرائقها الفنية ورصد تطوراتها وتغيراتها بغية الوصول إلى مظاهر التجديد فيها ، وقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن الرواية العربية عرفت تطورا كبيرا على مستوى الموضوعات والتقنيات التي وظفتها واتجهت نحو نماذج سردية أكثر تطورا وتجاوزا للتقليد فعمدت إلى تهشيم العمود السردي وانفتحت على الفنون وتعالقت فيها الأزمنة والأمكنة .

الكلمات المفتاحية:الرواية العربية ، التطورات السردية ، استراتيجيات السرد ،**أعشقني .**

***ABSTRACT* :**

This study, tagged with "Narrative Developments and Variations in the Arabic Novel - The Novel of "I Love Me" by SanaaShaalan as a model - aimed at the approaches to the most important issues related to the novel in the current era, because the renewal embodied the contrast and rebellion against the authority of the traditional novelist model of a writer who drew a creative line for herself.

Whatthis article aimsatis to clarify the features of renewal and developmentthat Sana Shaalanemployed as one of the writerswhosenovelsattracted the reader and arousedhiscuriosity to probe the depths of itstext and revealitsbasements, as well as questioningitsartisticmethods and monitoring itsdevelopments and changes in order to reach the manifestations of renewal in it. Wereached a set of results, the mostprominent of whichisthat the Arabicnovel has known a greatdevelopmentat the level of themes and techniques thatitemployed and turnedtowards more sophisticated narrative modelsthattranscend tradition, soitproceeded to smash the narrative column and opened up to the arts and the times and places wereintertwined.

***Keywords*: Arabic Novel, Narrative Developments, Narrative Strategies, I Love Me**

مقدمة:

تعد الرواية عملية كشف دائم لتعرية الواقع ، ذلك أنها تقوم في أساسها على التطور والبحث الدؤوب عن آليات سردية خطابية تهدم كل معيار ثابت ونمطي، لتعكس طابع الحياة التي لا تستقر على حال وتتمرد على الوعي الجمالي المألوف فنجدها تغير ثوبها كل مرة استجابة لمتطلبات العصر ولطموح الكتاب الذين جربوا أشكالا ومضامينا جديدة تواكب التطورات المتسارعة التي يمر بها العالم ، بذلك أصبحت الرواية المعاصرة مادة خصبة للدراسة حيث تهب نفسها للمتلقي في توافق و انسجام كلي ، فكان التطور هو الدافع لتحريك وتيرة البحث واقتحام عوالمه المجهولة حيث أن الرواية وجدت فيه متنفسا يتماشى وطموحاتها التحررية ، كونه وسيلة لابتكار أساليب جديدة في أنماط التعبير الفني من خلال بلورة جمالياتها وخرق الثابت والراكد والنمطية على مستوى النص ، فهو رؤيا ابداعية مشروعة للبحث عن كل جديد في صناعة الخطاب السردي وكذا البحث عن أدوات وصيغ وتراكيب لغوية وحيل سردية ، فنحن اليوم أمام رواية اكتست حلة جديدة من خلال تملصها من كل القواعد الناظمة للأبنية النصية والقوالب الجاهزة وبحثها عن أشكال سردية وأنساق تخيلية وطرائق كتابية ومواضيع مستحدثة ، بمعنى الانحراف عن الخط التقليدي للكتابة السردية والانفتاح لتجريب آليات وصيغ مغايرة لكل ما هو سائد .

ومن هنا تشكلت فكرة المقال من أجل الوقوف على ممكنات التحول واستقراء آليات و مظاهر التطور والتجديد لإنتاج نص إبداعي قائم على التجاوز والتغير ، وبما أن الدراسة تقتضي إختيار نصها الملائم كانت رواية"أعشقني " لسناء شعلانأنموذجا باعتبارها من الكتاب الذين تستقطبت رواياتهم القارئ وتثير فضوله ليسبر أغوار متونها و يكتشف سراديبها .

ومن هنا تمحورت مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

-ما هي مظاهر وملامح التجديد والتطور في السرد الروائي العربي ؟ .

-ماهي الاستراتيجيات السردية التي وظفتها سناء شعلان في رواية "أعشقني" ؟ .

إنمايهدفإليه هذا المقال هو استجلاء ملامح التجديد والتغيير التي وظفتها الكاتبة فيرواية "أعشقني " والتنقيب على مضمراتها ومساءلة طرائقها الفنية والبحث عن الأساليب الجديدة فيها ورصد تطوراتها وتغيراتها بغية الوصول إلى مواطن التجديد فيها.

1- مظاهر التطور في الرواية العربية المعاصرة :

يحتفى في الأدب العربي الحديث بالنصوص السردية الآن احتفاء خاص ، وبخاصة الرواية إلى درجة يمكن القول فيها أن عصرنا هو عصر الرواية ، وذهب بعض النقاد إلى أنها ديوان العرب في العصر العشرين ، فالرواية نوع أدبي انتزع الاهتمام ونجح في الاستئثار بالمكانة الأولى في الآداب العالمية ، وهذا يعود إلى القدرة الهائلة في تطور وسائل السرد فيها وإلى القدرات الفائقة في تمثيل المرجعيات الثقافية والنفسية، و تعد دراسة السرد الروائي من أكثر الدراسات النقدية الحديثة خصوبة ، وتعود خصوبتها إلى كونها المدخل الذي يسمح للنقاد بالولوج إلى جوهر النص الروائي باعتبار السرد أحد جوانب المظهر الحسي الملموس في التجربة الروائية ، و الذي يمكن من خلاله تناول الرواية تناولا موضوعيا قائم على أسس واضحة ، فدراسته- السرد- تعمل على كشف الأدوات التي يستخدمها الروائي في تحميل النص بالمضامين و الدلالات ، وهذا يؤدي إلى تبصير القارئ بما يقدم له و يؤثر فيه و يجعله يتجاوز حدود الخضوع القائم على الانبهار إلى مجالات المشاركة القائمة على الفهم والقبول .

وقد عرفت الرواية العربية مخاضها العسير في النصف الثاني من القرن 19 إثر "انهيار النسق التقليدي في الثقافة الموروثة وتفكك المرويات السردية القديمة وانكسار الأسلوب المتصنع في التعبير ، وقد انتزعت الرواية الآن شرعية كاملة كنوع أدبي يحتل المرتبة الأولى في أدبنا الحديث "[1]،فالأدب العربي يتطور على نحو أسرع من كافة أشكال ومظاهر الثقافة والممارسات الإنسانية وبتطوره تتطور اللغة والنسق الفكري والنظم الاجتماعية والوعي وتتطور كذلك الطرق ، ونظرا إلى أن المرحلة الراهنة تشهد تحولات جذرية في طبيعتها وتوجهاتها بفعل ما توصلت إليه من اختراق لمفاهيم الزمن والسرعة والخفة[1] ، فهنا تكون الفرصة سانحة لإمكانية الانتقال بالأدب نقلة نوعية تتناسب و تطلعات المستقبل ، كما تكون سانحة للانحراف به عن مساره تحت مسمى التجريب والتجديد والتطوير والتحديث والتحرر من سلطة النقد وسلطة الابداع والقطيعة مع التراث وما تم تكريسه من مفاهيم حول أسس وجماليات الكتابة "[2]،وعليه فالرواية تطورت تطورا ملحوظا واستقطبت اهتمام القراء و النقاد على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم ، كما تنوعت أساليب وتقنيات كتابتها واختلفت أشكالها وتعددت أنواعها وتياراتها وصيغ تقديمها[3] . و ظهرت بوصفها أولا حتمية من حتميات التطور التي تقتضي صيرورة الحياة وبوصفها ثانية حداثة جديدة للسرد ومحاولة لتأسيس وعي جديد وطرائق سردية جديدة تسعى نحو المغايرة عن السائد المطروح[4] ،ونجدها عرفت تطورا كبيرا سواء على مستوى الموضوعات التي عالجتها أو التقنيات التي وظفتها في التعبير ، هيأ لها هذا التطور موئلا مكنها من ملاحقة تحولات المجتمع ومواكبة صيرورته ، وجعلها بذلك تقدم همس الشارع العربي وفوضاه وقلقه العارم ومختلف أحاسيسه وطموحاته[5].

و قد يكون التطور حتمية تفرزها رغبة الأدباء أنفسهم في الرقي بأفكارهم والارتفاع بأساليبهم فيلجؤون إلى البحث عما يولد قيمة جمالية في نصوصهم الابداعية ، ومنها الرواية التي لا تستقر على حال ولا يهدأ لها بال ذلك أن سيرورة تشكل الرواية تضل في تغيير مستمر ، يتأثر بكل ما يحيط بالعالم وهذا ما يجعل تطور الشكل الروائي سريع النبض واسع الخطى متأرجحالأساليب . وانطلاقا من كل المعطيات التي تدعو إلى التجديد و التغيير تشكل اتجاه يرفض مايقيد حرية الكاتب ويدخل في متاهة المغامرة الفنية والمحاولة الدائمة للخروج من طرق التعبير المستقرة أو التي أصبحت قوالبا و أنماطا و ابتكار طرق جديدة[6].

فالكتاب حاولوا "التحرر من حرفية الشكل المتبلور عبر تاريخ الأدب وابتعدوا على تقويض مفهوم الشكل التقليدي الخطي واعتماد الشذرات و التداعي الحر وتقطيع الزمن واستخدام تقنية تعدد الرواة والصيغ ، إيذانا بإعلاننهاية ضرورة الصوت الأحادي السائد وكان ذلك تعبيرا عن رفض مطلق للمسلمات وتجسيد قلق وجودي يتمركز حول الذات ضدا على الواقع والمجتمع"[7] ، وعليه فالسرد مبني على التشظي وتداخل الأزمنة والأماكن .وتوجهت بذلك الى كتابة جديدة تتجاوز التقليدي شكلا ومضمونا ، إذ كان عليها البحث عن هيكل يناسب المواضيع الجديدة ويواكب مقتضيات الراهن ، فابتكرت لنفسها تقنيات جديدة على مستوى اللغة والأسلوب والتقنية والتأليف والبناء ،كما عملت على تحطيم الهياكل الاجتماعية المتحجرة لتكشف عن واقع جديد وحيز يتجاوز الأشكال المستهدفة .

فالمطلب الجديد بالنسبة للرواية هو أن لا تنطلق المخيلة من سرد تقليدي سبق أن صنع بأكمله حيث يشرح المؤلف كل شيء فيه ، بل ينبغي أن يكون الكتاب فخا ولغزا بالنسبة إلى القارئ وإليه يعود أمر تفسيره فالقارئ مطالب بالولوج في عالم لا تفك رموزه على نحو كامل بل يسعى هو إلى تفكيكها ،

فأصبحت تقدم تجربة لا خاتمة لها وسؤال لا جواب له ،القارئ لم يعد أمام مشهد حسن التنظيم ، بل أمام مغامرة فنية لا تقبل التعريف بطبيعتها .

سعت الكتابة الابداعية الجديدة إلى كسر نمطية التعابير والقوالب الجاهزة لتدخل الكتابة السردية في منحى جديد تنتقل من " تهشيم العمود السردي إلى التلاقح مع الفنون السنيمائية والتشكيل والغناء والموسيقى ولعب الضمائر والأزمنة والتهجين اللغوي والنصي وفي الأمرين معا أمر المنجز وأمر التأزم كان التجريب علامة فائقة"[8]، وهذا ماجعل الكتابة داخل الجنس السردي "تنفتح باستمرار على البحث الدؤوب عن شكل جديد ورؤيا متجددة في الصياغةواعادةصياغة الواقع في اطار كتابة التجاوز الحداثيةوالمغايرة "[9]، ومن هنا لقد تجاوزت الرواية الحديثة أساليب الكتابة الروائية التقليدية التي كرست الحبكة و احترمت خطية الزمن إلى حد بعيد و فسحت المجال لتدخل السارد العالم بالكون و هو يوجه مصائر الشخصيات و يكيف الأحداث لرؤيته العالمة وفاء لواقعية تفرط في احالتها المرجعية .

الرواية المعاصرة جاءت لتفتح الباب على مصراعيه لرفض الأشكال الجاهزة للفكر ولطرق التعبير عنه وتغرق في الضبابية والصعوبة والتعقيد ، وقد عبرت عن اللامعقول والغرابة من خلال العجائبي والغرائبي ومن هنا ضاع منها كل ما هو منطقي وصارت خيطا من أشياء متناثرة هي مزيج من تلاحم الذهن بالذاكرة وبالتالي سيطر عليها الغموض،ولا شك أن الرواية التجريبية تنطلق من منطلقات الحداثة التي تؤمن بكل جديد ، وذلك الجديد القلق الذي لا يكاد يولد حتى يصبح قديما ، ويبحث عن شكل يستولد منه ليقوم على أنقاضه فالحداثة وليدة الوعي بضرورة التفسير والخروج من النمطية واستمرار تطور الأنواع[10] ، والحداثة إعادة نظر في المرجعيات والقيم والمعايير وهي رؤية جديدة تعبر عن المقلق والعجائبي والمثير وهي تجديد للغة وتحرير للمخيلة وتجاوز للحدود الوهمية التي تفصل الواقع عن اللاواقع ، وهذه الحداثة تستوعب حساسية جديدة اتجاه هذا العصر والحساسية الجديدة تعبر عن وعي خاص اتجاه الأشياء سواء في الشكل أو المضمون وهذا الوعي يقوم على تقنيات كسر الترتيب السردي ، وتجاوز العقدة التقليدية ، والغوص إلى الداخل والتعلق بالظاهر وتسيع دلالة الواقع لكي يعود اليها الحلم والأسطورة والشعر[11]، ووضع المعجز والخارق موضع الحقيقة المسلم بها دون دهشة والانفتاح على عوالم وأكوان ما تحت الوحي.

وهكذا طفقت الرواية العربية تتجه نحو نماذج سردية أكثر تطورا وتجاوزا للتقليد والمألوفحيث صارت تتبنى تركيبة متنوعة من الطموحات الفنية على مستوى الشكل وكذا على صعيد التجديد البنيوي الذي يطال تلك الكيفيات التي تبنى بها الشخصيات ويتعالق فيها الزمن مع المكان وأشكال الساردين والمنظور الروائي ، وسائر تدخلات الروائي الضمنية في كسر وهدم مطابقة الرواية للواقع .

2- الاستراتيجيات السردية في رواية "أعشقني " :

كسرت الرواية كل القواعد و اعتمدت بدلا من النظام و الانسجام و الوضوح اللانتظام، وعملت على تشويه الأشكال الروائية السائدة عبر رفع راية التمرد المستديم في وجه التقنيات و الحبكات و الأساليب ، وقد برز التجريب و تشظي السرد في النص الروائي على مستوى التقطيع و القفزات و الحذف التي تعمل على تفتيت النص الروائي و تحويله إلى شذرات كما برز على مستوى الفصول غير المترابطة ، و أصبح هم النص الروائي أن يلفت نظر القارئ إلى الأدوات والاستراتيجيات النصية التي

يستخدمها مما أدى إلىالتداخل و التمازج بين مستويات النص المختلفة من واقعي و أسطوري و خيالي و رمزي و تاريخي وغيرها ،مما يغير طبيعة التلقي ومن آليات التشويق ذاتها فقد أصبح تفتت السرد وتفكك الحبكة وتداخلات الروائي القصدية في سياق السرد من العوامل المثيرة لتفكير القارئ والباعثة على اهتمامه.

2-1- بنية الأحداث بين التوالد والتداخل :

إذا توقفنا على الأحداث في الرواية سنجد أنها لا تخضع بنيتها إلى نظام بين يمثل نسقا يشعر فيه القارئ بوجود منطق يحكمها إنما تتشابك و تتداخل فيتكسر النسق ويرتبك النظام ويتحول إلى تفكك وفوضى فتعسر متابعة الأحداث ،لانحلال الروابط بينها بحكم تقطعها و تعقدها ، و توالدها عبر مسالك التداعي و التذكر فلذاكرة دور أساسي في استحضار الجانب المهم و الذي يسمه التشتت و التبعثر .

ورواية "أعشقني " من إشاراتها وعتباتها الإهدائية و عناوين فصولها توحي بغرابة الأحداث والرؤى و الشخصيات ،فالساردة بهذا التوظيف تحاول تذويب السرد وانفتاحه على الأشياء المسكوت عنها اجتماعيا .

تعشق "شمس" بطلة الرواية رجلا من كوكب آخر ،ثم تتعرض في رحلة حياتها للتعذيب في سجون الدولة على يد الضباط ، ثم يصاب القائد المشرف على قضيتها بإصابات شديدة جراء عمل إرهابي يضطر الأطباء أن ينقلوا عقله الى جسم السجينة وتبدأ محنته البيولوجية و النفسية مع هذا التغيير ، ومع تطور الأحداث يعثر "باسل " على رسائلها مع حبيبها و تتغير نظرته إليها وإلى الحياة .

لا شك أن هذه الاستراتيجية في تقديم الحدث تشعر القارئ انتفاء مبدأ التوقع ، فيبدأ اضمحلال وتشظي الحكي من البداية إذ يعمل النص على " بث الغموض والشك و إثارة الأسئلة والتساؤلات فكأنه يهدف إلى تجسيد رؤيا لا يقينية "[12].

من هنا يبدأ تشظي السرد والحكي بتقديم أحداث إيهامية تصدم القارئ وتكسر أفق توقعه ،وهذا مايمكن رصده من أول صفحات الرواية يقول باسل: "ليتني أستطيع أن أرثي لها ولجسدها المسجى ،ليتني أستطيع الرفض أن أأسر في جسدها المنكمش...ليتني أملك الجرأة لأقول للأطباء : دعوني أموت ، أنا أرفض أن أكون حقل تجارب ،و أرفض أن أكون أول إنسان تجرى له عملية نقل دماغ ، ليتني أستطيع أن أرفض بعزم وإصرار أن ينقل دماغي إلى جسد تلك المرأة المعانقة للموت والعدم منذ الصباح"[13].

قدم السرد أحداث رواية على أنها لقطات موزعة على فصولها ينتقل عبرها السرد من نقطة إلى أخرى يقدم ويأخر ، مما يصعب تلخيصها والتقاط الحكاية والامساك بأحداثها وهذا يخلق حسا من الاضطراب والفجوات عنده ، ويحقق لديه متعة القراءة ، فضلا على الأجواء الغرائبية والعجائبية وتعدد الأمكنة وتنوعها وبروز شخصية الأنثى وامتداداتها الواقعية والتاريخية والأسطورية والدينية، ولعل سردية التعجيب تعد أحد أبرز الأشكال والصيغ المستحدثة حكائيا في تقديم نص الحكاية والتعبير عن تجاوز تخوم الأطر النمطية للحبكة السردية ، فقد اغتدى هذا الأسلوب نمطا تعبيريا تم اللجوء إليه بمثابة الآلية السردية الطافحة بسحر التخييل والغرابة للتعبير اللاواقعي واللامألوف عن الواقع ومعارضته دونما إلغاء له .

2-2- الإيهام والذاكرة :

تشتغل لغة الخطاب على عناصر التذكر و الإيهام و تضطلع بأدوار في أنساق التلفظ و الدلالة في النص الروائي ، و من ثم فهي ليست موضوعات بقدر ماهي طرائق تسهم في تحقيق إنزياح بنية الخطاب و أنساق الملفوظ حيث تكتشف عوالم الذات و تتجلى مكبوتاتها عبر تداعي الحدود بين الوعي و اللاوعي في الحلم وانسياب عمليات التذكر ، ويعتبر التداعي من التقنيات التي استندت إليها الرواية الجديدة ، فأفكار الشخصيات تتداعى عن طريق هذه العوامل حيث تنبعث أفكارها من ذاكرتها و ماضيها .

ونرصد هذه التقنيات في المذكرات التي كانت تكتبها بطلة الرواية "شمس" ، كما تظهر على شكل مقارنة على لسان البطل "باسل المهري" في أكثر من موضع بعد تعرضه للحادث فيتذكر جسده قبل وبعد العملية و يتحصر عليه كما يتذكر انجازاته و بسالته و حنكته وما آلت إليه حالته جراء العمل الارهابي الذي فتك به و جعله حبيس الفراش ، كما يتعرف على البطلة من خلال ذاكرتها ...، فهذه التداعيات عكست الحالة النفسية التي تعيشها شخوص الرواية و تأزماتها .

2-3- المونولوج الداخلي :

تعمل هذه التقنية على الإفصاح عن أفكار الشخصيات و مشاعرها ، فالسارد يحاول الاقتراب من الواقع النفسي المحتمل للشخصيات الروائية ، فقد مكنت المرونة السردية المتاحة للروائيين الحداثيين من استكشاف العوالم الجوانية (الداخلية) لشخصياتهم الروائية ، وليس هذا فحسب بل دفعتهم إلى ولوج التجريب أيضا في كل العلاقات المتاحة والممكنة بين الحياة الداخلية والعالم الخارجي ، وبات التمازج بين السرديات الداخلية والخارجية هو المسعى الأكثر إثارة .

فكشف المونولوج هو الأخير عن مأساة ومعاناة هذه الشخصيات مما أضاء المشهد الدرامي في النصوص الروائية ، فالمونولوج كبنية سردية يشتغل ليرصد بواطن الشخصيات ويشكل آلية تبني الحدث ويكشف معالم الشخصية و رؤيتها للعالم ، ويأتي حضوره في رواية "أعشقني " في مواضع عدة ، على سبيل المثال على لسان "باسل"حيث يقول في حوار مع نفسه : "من أنا

ماذا أفعل هنا
كم الساعة الآن
لماذا لا أستطيع أن أتحرك
أنا جائع
.....أنا مريض "[14] ، وهو في حقيقته تجل لذات بسل وتعرية لواقعه النفسي المتأزم ، خاصة أنه لم يجد من يتكلم معه لذلك ترتفع حالات المونولوج الداخلي بل تكاد الناطق الوحيد عنه.

2-4- تشظي الزمن و تعالقه مع باقي مكونات السرد :

الزمن في الرواية الحديثة لم يعد يستمد أهميته من كونه مجرد عنصر في بناء الرواية فحسب ، بل استمدها من اعتباره يشكل جزء من اللعبة السردية حيث تغيرت طرائق الاشتغال عليه ، فبعد أن كان خطيا رتيبا قفز كتاب الرواية المعاصرة على هذه القداسة معلنين التمرد على أنساقه ، وعمدوا إلى تشويه خطيته وزعزعة رتابته ،وذلك ضمن خيارات تجريبية غايتها انتهاك نمطية الرواية التقليدية و إحداث أثر

جمالي لدى المتلقي وكسر أفق توقعه ، فالروائي المعاصر يتلاعب بأحداث الرواية و وقائعها ليوهم القارئ أو ينقله من فترة إلى أخرى حيث يقلب الترتيب الكرونولوجي ، كأن يتحدث مثلا عن عمل أو حدث مستقبلي وهذا ما يعرف بالبناء المتشظي للزمن حيث " يفقد المتلقي القدرة على جمع خيوط النص أثناء القراءة ، وربما يحتاج إلى قراءة ثانية تجعله قادرا على استجماع هذه الخيوط ونسجها "[15] .

ومن هذا المفهوم أصبح الزمن الروائي رهانا يحمل رؤيا داخل النص الروائي ، وأداة للكشف والاستشراف من خلال تداخل الحاضر بالماضي ، لذلك نجده يتسع ويتجاوز وظيفته البنائية ليترجم فلسفة هذا النص ويتقمص بذلك أحدث ملامح الحداثة ، باعتباره "خيط وهمي يربط الأحداث بعضها ببعض ويؤسس لعلاقات الشخصيات بعضها ببعض ، ويظاهر اللغة على أن تتخذ موقعها في إطار السيرورة ولكنه اغتدى أعظم من ذلك وأخطر "[16] .

تخضع أبعاد الزمن في هذا الشكل للتشظي والتكسير وتجاوز كل اشارة زمنية يمكن أن تقود القارئ للتتابع وقد تحولت رواية الزمن المتشظي إلى شيء ما أشبه بالحلم أو الكابوس ، حيث أبعاد الزمن تتجاوز كل ما هو منطقي وواقعي إلى حرية لا نهاية في التشكيل يصل إلى درجة التشظي والتبعثر في النص الروائي .

إن المفارقة الزمنية تعني انحراف زمن السرد حيث يتوقف استرسال الراوي في سرده المتنامي ليفسح المجال أمام القفز باتجاه الخلف أو الأمام على محور السرد ، هذه المفارقات الاسترجاعية والاستباقية ظهرت مع ظهور مدرسة التيار الوعي ، التي تهتم بمستويات الوعي والذاكرة والحلم وغيرها من التقنيات التي تعمل على بلورة الانحرافات الزمنية بشكل خاص [17].

يتسم الخطاب السردي من منظور تعامله مع الزمن بخاصيتين وبمظهرين يتصل " المظهر الأول بالبحث في موقع السرد عن الأنساق الزمنية التي تتحكم في أحداث النص وتقوم بعرضها وفق نسق الاسترجاع ، والاسترجاع يعني استرجاع حدث سابق عن الحدث الذي يسرد فيحيل بذلك على زمن سابق لزمن السرد ، أو وفق نسق الاستباق الذي يتوقع أحداثا لم تنجز بعد لأنها لا تتجاوز حدود التطلع وأفق الاحتمال ، وندل بمصطلح الاستباق على كل حركة سردية تقوم على أن يروى حدث لاحق أو يذكر مقدما ونحتفظ بمصطلح المفارقة الزمنية للدلالة على كل أشكال التناثر بين الترتيبين الزمنيين [18]،أما المظهر الثاني فيتمثل في وتيرة السرد التي يتم في ضوئها عرض أحداث الرواية بنسق سريع ينهض على التلخيص من جهة والحذف والإخفاء من جهة ثانية ، أو نسق بطيء يتعطل فيه السرد بسبب صيغ السرد المشهدي أو الوقفة الوصفية وينجم عن ذلك تعليق زمن الأحداث .

تطرح رواية "أعشقني" جدلا زمنيا يصعب على القارئ الإمساك بخيوطه ، فهي بنية متشظية تقدم الأحداث متقطعة غير منتظمة ، تخضع للتحولات والتقاطعات السردية حيث يصعب على المتلقي متابعة حركة الحدث ونسقها الزمني ، و هذا التشظي في الزمن يعبر عن الانسان وتمزقه وانقسامه وتشتته في بحثه عن الهوية.

ومن أمثلة الاسترجاعات نجد :"لعل جسدها الصغير النافر الثديين الضامر البطن..وحده من يفضح دون خجل أو خوف رحلتها مع العذاب عبر كثير من الكدمات و الجروح"[19] ، و أيضا "قيل لي إن بنيتها الضعيفة خلاف مراسها و عزيمتها و إصرارها قد جعلتها لا تصمد أكثر من أيام قليلة أمام التعذيب"[20].

ويقول باسل في موضع آخر : "هكذا تعلمنا في مدارسنا وجامعاتنا و هكذا علمنا معلمونا الرجال الآليون ..وهكذا تعلمت أنا في عملي الخطير ، فخطأ واحد في الحساب كفيل بتفجير مركبتي "[21]ويقول أيضا : "هذا الجسد الأنثوي العين ،يتذكره تماما ،وهذه الندوب المحفورة فيه تعيده إلى تفاصيل موت صاحبته" .

كما يظهر بشكل جلي في حكايا النوم وفي رسائل خالد وفي المذكرات ، مثال ذلك :

اليوم : 3شهر النور عام 3010..[22] ، تقول حكايا النوم : ياورد الجميلة : كانت الأرض في بداية التاريخ والخلق جميلة ....."[23]

من رسائل خالد :"هل تعلمين لماذا أكرر كلمة أحبك ألف مرة لأنها تختزل تجربة الإنسانية كلها في ممارسة الحب ...."[24].

نجد حضور كبير للاسترجاعاتفمثلا في الفصل الأول حتى الرابع تأتي الاسترجاعات على شكل معلومات جزئية عن شخصية شمس وعن تفاصيل الحادث الذي حصل لها وسلبها دماغها لتقيم الكاتبة توازيا بينه وبين الحادث الذي فتك جسد باسل المهري .

وفي هذه المرحلة من حياة باسل أي بعد خضوعه لعملية نقل الدماغ يستدعي هذه الاستدعاءات فلم تكن اعتباطية بل متلائمة والحالة النفسية المتأزمة التي يعانيها باسل في فترة عجز وانكار ، فنجده كلما تقادم العهد مع هذا الجسد الأنثوي كلما تعمقت الاسترجاعات، ونجد تقنيات المذكرات والرسائل قد مكنت الكاتبة من التحرك بحرية في توظيف هذه الاسترجاعات ، في المقابل باسل لم يرد أحداث خاصة به بل كانت له منافذ أخرى للذاكرة الغيرية "ذاكرة شمس وخالد " ، وتقحم الكاتبة داخل هذه الاسترجاعات أحداث روايتها وتسد فجوات الحكاية كما تكتب عن باسل وعن الموقف الذي يتغير بتغير قراءته للمذكرات والرسائل وردود فعله فنجد مشاعره تتطور اتجاه الجسد والجنين و المعتقدات .

كما نجدها وظفت الاسترجاعات في صورة مقارنة بين الماضي والحاضر (شكل الحياة و طبيعة الاشخاص) كما نجدها في مقارنة باسل بين زوجته وشمس ، كما نجدها في وجه آخر بين جسد باسل قبل وبعد العملية .

أما الاستباق فنجده حاضر وبقوة ذلك أن الرواية قائمة على وقائع مستقبلية ومن أمثلة ذلك :"يحدث في عام 3010 البشر عندهم الغرور ليتظهرو بأن الكون كله جعل لصالحهم بينما الكون كله ليس عنده حتى اشتباه بوجوههم "[25] ، ويظهر في موضع آخر "كلهم هنا من أجل ميلاد هذا الإنجاز الطبي المستحيل ،به قد تكون ولادة حقبة جديدة من تاريخ البشرية و التقدم الحضاري و الإنجاز الطبي ..."[26]

ويقول باسل :" قريبا سأطردها حتى من جسدها ، سأجري عمليات تجميل لأحول هذا الجسد الأنثوي إلى آخر يضج بالرجولة "[27].

عند تأملنا للشواهد الدالة على الاستباق التي وظفتها الكاتبة مع تطور الأحداث فنجد في الصفحات الأولى مقولات تمهيدية تقتصد تنبؤات شاملة ولكنها غير مصرح بها كالنص المكتوب من طرف شمس

الذي يكشف عن رؤية وصراع ونتائج ستحدث مستقبلا وبالفعل يعود هذا النص للظهور مجددا في فصل متأخر .

كما نجد استباقات لم تتحقق مع فصول الرواية أي أن الكاتبة قدمتها كاحتمالات ربما تحقق بها نوعا من التنفيس وهنا يكون القارئ متشوقا لمعرفة تحققها من عدمه .

و إلى جانب الاسترجاعات و الاستباقات عمدت الساردة إلى زعزعة رتابة الزمن من خلال استخدام تقنيات التسريع و التبطيء ، فنجد تقنية الخلاصة في هذا المقطع الذي ورد على لسان باسل المهري " ملامحها الغارقة في سلام عجيب لا تتناسب مع عذاباتها الطويلة على أيدي معذبيها ، لعل جسدها الصغير النافر الثديين الضامر البطن البادي النحول وحده من يفضح دون خجل رحلتها الطويلة مع العذاب "[28] .

تأتي هذه الخلاصة في أول صفحة من أول فصل وهي تتضمن شخصية شمس وعبر إشارة سريعة تبلغنا الرواية عن ماضي شخصية لم تكشف عن إسمها بعد وأحداث التعذيب التي تعرضت لها ، هذا يحيل إلى الصراع الطويل مع معذبيها ، هذا الأخير يشتمل على أحداث وتطورات بذلك تلخص الروائية ذلك باستخدام عذاباتها الطويلة ورحلتها الطويلة ، ونجد مثال آخر " يقولون أنها زعيمة وطنية مرموقة في حزب الحياة الممنوع و المعارض ويذكرون أنها كاتبة مشهورة "[29]،فالزعامة والشهرة تحتاج إلى زمن وتجارب ،ونجد مثالا آخر يتعلق بالحمل بعد إجراء العملية"هذا هو الحمل ، قال كبير الأطباء المعالجين له بتوتر باد ، وحرج مشوب بغموض لايفهمه ، اقترب باسل المهري برأسه الأنثوي الجميل قيد أنملة من الطبيب ، وسأله بصبر نافذ ، و تكرار آلي مذعور : هل هو مرض خطير "[30]فوجود الحمل يختصر تجربة فريدة من نوعها في الحياة مقارنة بطرق التكاثر في عالم متطور .

ويأتي الحذف كتقنية لتسريع زمن السرد،حيث يتضمن تجاوزا لفترات زمنية فيلعب دورا حاسما في اقتصاد السرد وتسريع وتيرته ، و نجد اشارات زمنية دالة عليه أي يتم فيه الإعلان عن المدة المحذوفة ، مثال رسائل خالد المؤرخة الموضوعة بشكل عشوائي في مذكرات شمس وهناك رسالة أو اثنين في عام 3008 أي تم حذف أحداث متعلقة بها وتبقى الأسئلة حول كيفية تلقي شمس للرسالة وماذا حدث في ذلك العام .

رواية اعشقني تحفل بالصفحات البيضاء والتي توحي بحذف للأحداث كما نجد عنونة الفصول تنتقل من مكون دلالي إلى آخر فالعناوين تشكل خلاصة للفصل كله كاستنتاج على لسان باسل ، ومن أمثلته أيضا ما نجده في نهاية الرواية " حبيبتي ورد :

يوجد يوم جديد يمر ولا اخبار عن خالد ، أشعر بدوار في روحي ...

الباب يقرع الآن ، سأرى من الطارق بهذه الطريقة العاصفة ، و سأعود إليك بعد لحظات ، انتظريني ...أحبك.....

.....[31]

هذه النقاط المتتابعة تدل على حذف افتراضي أي يفترض على أنها تدل على وقوع حدث لم يتم التفصيل فيه ، لأنه من يكتب المذكرات هو من قام بفتح الباب ومن هنا تتبادر الأسئلة ماذا حدث بعد فتح

الباب ؟ من الطارق ؟ ... ، ويأتي الحذف الافتراضي الخاص بمستقبل الرواية حيث تتطور الأحداث ولا تنتهي و إنما تضع القارئ في فتح التأويلات وملأ الفراغات الذي تستدعيه النهاية المفتوحة للرواية .

في مقابل التقنيات التي تحدد السرعة القصوى للسرد نجد تقنيات تعمل على تطويل زمن السرد وتمطيطه هذه التقنيات تخدم غرض الاسهاب في عرض التفاصيل وتقديم الشخصيات وأقوالها بالتفصيل أو الوصف الذي تتعطل فيه حركة الزمن وهو ما يطلق عليها بالمشهد والوقفة الوصفية .

لجات الكاتبة إلى تعطيل الزمن للتعريف بالشخصيات وكشف دواخلها وكذا المظاهر المتعددة للحياة التي تعيشها فنجد الرواية احتوت على جملة من الحوارات عطلت بها السرد تعطيلا مشهديا مثلا بين باسل والطبيب ، باسل والصحفي ، باسل وزجته ، شمس وخالد مثال بين باسل والطبيب .

وتتراوح مجالات الوصف في الرواية بين وصف الشخصيات ووصف المكان والزمان الذي تعيش فيه فنجده ركزت على شخصية "باسل المهري" خاصة بعد إجراء العملية ثم وصف شخصية "شمس" من خلال باسل عبر تقنية المذكرات ، وهذا أدى إلى وصف شخصية"خالد" و"بعض الشخصيات الثانوية .

و من أمثلة ذلك وصف باسل لنفسه "لقد بدت أحفظ تفاصيل بزتي العسكرية الواقية من الاشعاعات الكونية والاشعاعات الحربية المعادية أكثر مما أحفظ من تفاصيل وجهي و قسماته ، أستطيع الزعم كذلك أن مركبتي الفضائية المقاتلة أكثر قربا ألى نفسي و معرفتي وتواصلي من زوجتي الجميلة ...وكذا أكثر قربا من أبنائي الاثنين..." [32] وهنا وصف لبنية الأسرة الضعيفة في المجرة وعدم تماسكها ومثال آخر عن امتزاج وصف الشخصية بالمكان تبرز علاقة باسل بالمستشفى هوة سحيقة بلا لون أو زمن أو شعور أو أبعاد ، ومفرغة من الزمن ، تطغى عليها رائحة أدوية طبية مجهولة وفيها أزيز رتيب متقطع ، يقرع سكونه بوخز مستمر .. " [33].

2-5- انفتاح أفق المغامرة الروائية على العجائبي والأسطوري :

تتميز الرواية الحديثة بقدرتها على استيعاب كل الأجناس الأدبية و المعارف الانسانية ، واختراقها للحدود نابع من الرغبة في اثراء جوهرها و تنويع خطاباتها و تكثيفها ، وبذلك أصبحت ميدانا رحبا لتلاقي الأجناس وصارت اختراقا لا تقليدا واستشكالا لا مطابقة ومغامرة لخوض المجهول ، كما قدمت عوامل رمزية تتجاوز الواقع كإضفاء الطابع الاسطوري والعجائبي وولوج عوالم الحلم وتجاوز شخصيات روائية متخيلة .

2-5-1- **العجائبي العلمي – أو الخيال العلمي** : هو عجائبي تجريبي يخترق أفق المستقبل متخذا العلم وأدواته كوسيلة في الأحداث ، الأمر الذي يجعلها ، في هذا الأفق ، تبدو مقبولة وممكنة[34].

والعجائبي يخدم السرد ويحتفظ بالتوتر ، إذ إن حضور العناصر العجائبية يتيح تنظيما للحبكة مكثفا بصورة خاصة ، هذه الخصوصيات تفضي إلى أن الهدف الأدبي من وراء العجائبي هو الرعب باعتماد التضخيم والغلو في التصوير ، وهما خاصيتان تميزان الفانتاستيك مع إختلاف وظيفي ، أي توظيف التشكيلي والخطابي وكلاهما تخييل ، إذ إن العجائبي ليس سوى إمتياز مؤقت لاستدراكات المخيلة ، هذه الأخيرة التي تمنح عناصرها من الواقع فتعيد صوغها من جديد كما تحرص على انبثاق واقع مجهول وجديد من صلب الواقع الاجتماعي مثلما ستحرص على خلخلة سكون اليومي ، عن طريق ملامسة

الظواهر الفوقطبيعية وكمونها في ما هو طبيعي ، كما تلامس الواقع بمنظور مغاير للمألوف ، فتهتز معرفته بهذه الأشياء ويسقط في المحتمل واللامحتمل[35] .

والبنيتان السرديتان (العجابية والغرائبية) بكل معطياتهما بنيتان قلقتان إن جاز التعبير ، تتعالقان مع كثير من البنى التي تؤسس لأجناس أخرى من الأدب مثل الأساطير والخيال العلمي والسحر والأحلام واليوتوبيا والروايات البوليسية . وإن كان الجامع بينها توقف العمل بالمعاني الاعتيادية وتضخم الإحساس سواء كان هذا الإحساس إيجابياً كالشعور بالمتعة أو سلبياً كالشعور بالخوف[36].

خاض الكثير من الكتاب غمار هذه التجربة ولم تكن المرأة بمنأى عن ذلك إذ أبدعت ونسجت رواية زاوجت فيها بين الخيال و العلم ، حيث انطلقت الكاتبة من واقعة مفادها نقل الأعضاء البشرية من أجل تحقيق الاستمرارية ، وقد نجح العلم الحديث في نقل مختلف الأعضاء ، وكللت أغلب العمليات بالنجاح وبقيت عملية واحدة وهي عملية نقل الدماغ من بشر لآخر، فنجد فكرة البقاء و الاستمرار هاجس يتملك الإنسان ، فهو يسعى دائما للبحث عن سيل للبقاء ، وذلك بالاستفادة مما قدمه العلم من منجزات باهرة.

كانت فكرة نقل الدماغ منطلق هذه الرواية وجوهرها وجعلت الكاتبة الأحداث تقع في الألفية الثالثة وفي عالم آخر، بمجرة درب التبانة، وقد جعلت هذه العملية تتم بين رجل و امرأة لتفضي على الرواية نوعا من المفارقة والغرائبية، فرغبة البطل في الحياة جعلته يقدم على هذه العملية شبه المستحيلة .

يقول باسل :"ليتني أملك الجرأة لأقول للأطباء دعوني أموت ، أنا أرفض أن اكون حقل تجارب و أرفض أن أكون أول انسان تجرى له عملية نقل الدماغ ، ليتني أستطيع أن أرفض بعزم و إصرار أن ينقل دماغي إلى تلك المرأة المعانقة للموت و العدم منذ الصباح"[37] .

ومن أمثلة هذا التوظيف : "يتوفر المجتمع على ترسانة أسطورية من المعلومات والتكنولوجيا سبقت الخيال في التطور المادي "[38]،و قد شهدت الانسانية تطورا كبيرا في ثورات الاتصالات إلى درجة أن فترة ستة أشهر التي ظل فيها باسل بالمستشفى غيرت الكثير من العتاد التكنولوجي ومن نماذج هذا التطور " توفر كل فرد على قمر صناعي يمكنه من التواصل المرئي المباشر أو تسجيل المكالمات في حالة غيابها "[39].أما عن مظاهر الحياة وقوانينها في فضاء المجرة ف " لا مجال في هذا العالم الجديد للفردية المزعجة، والذاتية المغرقة في أسئلة تعطّل ركب العمل والإنجاز والانتظام"[40]، مما حث حكومة المجرّة على سنّ قوانين تستلزم " توحيد الشكل الخارجي للجميع من حيث الأوزان المسموح بها، وطول الشعر، وموضات الملابس، وتقنين حدود الاختلاف"[41] .

2-5-2- النزوع الأسطوري :

النزوع الأسطوري هو حاله يمارسها العقل دون الوعي الكلي للفرد ،إذ يعمل على التخفيف من سلطان النزعة العقلانية التي ترى الكون آلة جباره وفق قوانين أزلية ميكانيكية ، ومن هنا فإن النزوع الأسطوري في الأدب يعني:" استلهام الأسطورةأو استيحاءها، على نحو كلي أو جزئي، ظاهر أو مضمر، أو استدعاء الرموز الأسطورية، أو بناء عوالم تخييل روائية تتصل بأكثر من نسب مع ما هو أسطوري " [42].

النزوع الأسطوري في الروايةالعربيةالمعاصرة شأن أشكال التجريب الجمالي الأخرى، ليس فعالية إبداعيه معلقه في الفراغ ، بل إستجابةلضرورة التاريخية ثقافيه ، فنيه ، استدعتها وهيأت لها ، ثم أشاعتها فيما بعد مجموعه من المؤثرات التي كانت تضطرم في الواقع العربي منذ نهايات القرن التاسع عشر، والتي ماتزال تمارس تأثيرها الواضح في الراهن منه أيضا "[43].

وظفت الكاتبة رصيدا هاما من الرموز الأسطورية، غالبيتها مأخوذة من الحكاية الشعبية، وهي ميزة تستوجب البحث عن مدى انصهار هذه الرموز مع سياق الوقائع السردية ، تقول :"أراد الأمير الشاب الجميل أن يختار عروسا تملك قوة خارقة ،إذ رغب في أن يضم قوة جديدة إلى ملكه ، عرافات القصر ووصيفاته أذكين العيون في شتى أرجاء السلطنة ، وعرضنا عليه النساء كلهن ذوات القوى الخارقة ، بعضهن يملكن سحرا طاغيا ، واحدة تملك حصانا طائرا يسابق البرق ، وأخرى تملك سيفا بتارا ينصر كل من ضرب به ، وثانية تملك ترانيم الفرح جميعا ، وثالثة عندها أقوى حيوان أسطوري لا يهزمه جيش من المصارعين ، ورابعة تملك مغارة كاملة من الجوهر و النفائس ، وخامسة عندها وجه فاتن يسعد قلب العجوز ، ويرد إليه الشباب و القوة الراحلة ، وسادسة تملك ماء الحياة و الخلود ، لكنها هي دون النساء من تملك شعرا غابة ، طوله يتجاوز طولها ، فيسعى وراءها على الأرض عندما نام في حضنها التف شعرها على جسديهما ، ووهبهما شرنقة عشق دافئة حريرية ، ليلتها أدركأن صاحبة الشعر الطويل هي أقوى إمرأة في مملكته ، فتزوجها من ساعتها ، ونعم بفردوس شعرها"[44].

بالرجوع إلى تقنية التّرميز، نجد أنّها قد وظّفت رموزا معينة، وكثيرا ما كانت حكايات النوم التي تحكيها الشّخصية شمس لجنينها متضمنة لرموز أسطورية، لها دلالتها في الرواية حيث ينبغي توظيفها بفهم عميق لدلالتها ومن ثمة إيجاد صلة بينها وبين أحداث الرواية حيث تلتحم معها لتقدم لنا منجزا تخيليا متجانسا، كما يمكننا رصد بعض المؤشّرات الأسطورية ونبدأ بالمسخ والتحول، حيث حفلت الأساطير الأولى بهما واعتبرتّهما قدرة إلهية تعاقب بها الإنسان، و "باسل المهري" بعيدا عن الأجواء العلمية بشكله الجديد يعتبر مسخا بالقياس مع الشّكل الطبيعي لرجل، أما بالنسبة للتحول "فهو قوة ايجابية خارقة قادرة على التغيير نحو الأفضل أو الأعلى في حين يقف المسخ في المقابل قوة سلبية خارقة تعمل على التحول نحو الأسوء أو الأدنى، وإن كان المسخ يقترن عادة بالعقاب والانتقام والسخط وقوى الشّر والظّلام والكره، فإن التّحول يجنح في الغالب إلى الاقتران بفكرة المكافأة والمساعدة والخلاص "[45] ، ففي رواية أعشقني ما يحدث لباسل على المستوى النّفسي: حيث يجعله الاعتقاد بأنه رجل على غير طبيعته إلى الإحساس بالسوء، ثم إن مشاعر الكره والحقد والانتقام اتجاه الجسد الأنثوي الذي يكونه يجعله يسير نحو الأسوأ والأدنى، أما التّحول فإنّه على الطّرف النقيض يشير إلى الجانب الإيجابي، وهو في رواية أعشقني تحول في الموقف تجاه شمس، وهو ليس تحولا اتجاه شخص فقط، بل تحول في طريقة التفكير والنّظر إلى الأشياء، إنالتحول الذي نقصده هنا معنوي "والتّحول يتحلى بمرونة كبيرة، تجعله يقبل بأن يكون تحولا معنويا، يتعلق بالأخلاق والصفات والشّمائل ، و المشاعر ،فقد يحول صاحب القلب الشّرير إلى صاحب قلب طيب، وقد يحول الكره إلى حب، وقد يملأ الإيمان قلبا كان موئلا للكفّر والطّغيان والتّجبر[46]".

من الأساطير أيضا نجد أسطورة الطوفان "كانت الأرض في بداية التّاريخ والخلق جميلة: ببحار زرقاء هادئة وأشجار خضراء باسقة.. لكن البشر أفسدوا كلّ شيء بشرورهم، وحروبهم، وتطاحنهم، الدماء

الحمراء أغرقت الأماكن كلّها.. الآلهة ضاقت ذرعا بهم، وأرسلت عليهم أمطارا لا تتوقف كي تغرقهم أجمعين، وجعلت تميمة الخلاص في فعل الخير.."،[47] حيث تستدعي الروائية أجواء أسطورة الطوفان، المستوحاة من قصة سيدنا نوح عليه السلام، للدلالة على الانتقام الإلهي والخطر القادم.

من الرموز الأسطورية أيضا توظيف الجنس في الرواية، و الانتقال به من المدنّس إلى المقدس من خلال بعده الأسطوري حيث ترى الأساطير القديمة أن الجنس هو "نشاط صادر عن قوة شاملة متمثّلة في الآلهة، تودعها في الأجساد ثم تستثيرها، وبذلك فالجنس ليس استجابة لغرض دنيوي، وتحقيقا لمتعة فردية، بل هو استجابة لنداء كوني شامل ،فللجنس مكانة مقدسة في الفكر الأسطوري،ومن هذا المنطلق نستطيع القول أن الجنس أسطوريا ليس نشاطا جسديا تفريغيا هدفه المتعة، بل هو عملية انتظام والتصاق بناموس الحياة الأكبر، وانتماء عملي لدورة الحياة والطّبيعة والتّجدد "[48]، إن هذا ما يبرر إعلاء الروائية من قيمة الفعل الجنسي في رواية "أعشقني" حيث تجعله تميمة الخلاص ."فخالد من قادني إلى عالم الجنس عبر بوابة جسده ،وهناك اكتشفت أسرار الوجود ومعنى الحياة، ونشوء الانصهار ، ولو كان موجودا الآن لحدثك عنه دون تردد، لكي تكملي به دورة الوجود، وتكسرين – كما كسرت وإياه-هذا التّشوه الفظيع في هذا الحامل الكوني والأزلي للوجود ولاستمرارية البشر ولامتدادهم بأدواتهم وبأفعالهم وبخياراتهم [49].

2-6- كسر التابوهات(الجسد بين الفن و الإثارة):

الرواية في تطوراتها الأخيرة أصبحت تنزع إلى كسر التابوهات بالولوج في عوالم تخيلية تتخذ من المسكوت عنه مادة لها ، فقد كان العصر الحديث بما يحمله من تقدم وتطور ، و ما به كذلك من (تكنيكات)فنية ، تبلورت جميعها عبر القصص ، قد تتأرجح في تناولها لتلك الموضوعات تصريحا و تلميحا فتارة يعبر عن مكنون الغريزة في غير مواربة و تارة يومئ اليها في خفاء [50].

فحداثة الكتابة الروائية وفق هذا المنظور تدعو إلى تجاوز منطق الذهنية التقليدية التي وجهت الروائي ليكتب وفق شروط ، و هكذا فالمثاقفة كحالة عاشها الروائي العربي جعلته يفكر في خلخلة الموروث القيمي والخروج عن نمطية الكتابة فأصبح نصه يحتمي بقصدية الجرأة في كشف المسكوت عنه و النبش في أشد القضايا التي تحتمل الشك في الدين و السياسة و الجنس .

لقد بدأت الكتابة الأنثوية تتجه في الآونة الأخيرة اتجاها جريئا ، تتعرض لمفردات لها طابع ديني واجتماعي و أسري ، و لاح التجاوز واضحا لما هو ثابت من القيم و بات الهاجس الجنسي شاغلا مساحة عميقة في الذهن و النص معا ، واعتبرت الكاتبة المبدعة أن التمرد على ما هو مستقر في المواصفات ذات الطابع الخلقي لونا من الحداثة المفارقة للقيم ، يبرز دور الكاتبة في كونها تستنطق الجسد وتكشف عن مفرداته في لغة خاصة ، هي لغة حقيقية جاءت كما هي دون رتوش أو بهرج ، تخرجها المرأة للعيان .

وفي رواية "أعشقني " التي تجري أحداثها في الألفية الثالثة ضمن إحدى المجرات تطالعنا الروائية على رؤية خاصة لموضوعة الجنس ضمن وضع استشرافي مأزوم ،استعملت الروائية لغة الجسد متجاوزة بلك كل مقولات الضبط الاجتماعي ، كانت خطابا مكتنزا بالشهوة و التعري و الكشف المباح ، وقد هيأت كل أسباب تحرك هذه الموضوعةفي مساحة حرة نقل بموجبها من المدنس في الكتابة

الى المقدس، فالجنس في ذلك العالم التكنولوجي المتقدم أصبح من الطرق البدائية في التكاثر ، بل أنه من طقوس الأساطير القديمة .

استحضرت الكاتبة الجسد تيمة في نصها الروائي، فمنحته أبعادا دلالية مختلفة فتحول على إثر ذلك إلبذات نصانية مزودة بمؤشراتها التأويلية التي تسهم في بنائه ،الروائية تكسر أفق انتظار القارئ من الوهلة الأولى بذلك التجاوز المتمثل في الجمع بين عقل باسل المهري مع جسد شمس الوحيد المتناسب له جينيا .

صورت الكاتبة في نصها السردي الجسد في ضعفه وفي ألمه وفي عطبه إحساسه بالنقص ، نلمس ذلك حينما تعرض البطل إلى هجوم من طرف خصومه في مجرة درب التبانة، فأدى ذلك إلى عطب الجسد وعجزه عن القيام بأية وظيفة ، ويظهر ذلك أيضا حين يتعرض الجسد الأنثوي إلى الاعتقال، إذ يتعرض هذا الجسد إلى مختلف أنواع التعذيب والذي يفضي إلى فقدان تلك المرأة حياتها.

حاول البطل الانتقام من هذا الجسد وذلك بحرمانه من الدواء والطعام والراحة وكذلك يبين عدم تقبله هذا الجسد ، يقول : " أنا أكره هذا الجسد ، أريد أن أخرج منه ، أريد جسدي ، لا أريد غير جسدي ، أعيدوا لي جسدي ، أخرجوني من هذا الجسد اللعين "[51] ،و يقول : "وحده جسدها هو من استطاع أن يهزمني ووحده من استطعت أن أذله، بل أن أكرس له كل وقتي وجهدي من أجل أن أهزمه، منذ أيام لم حممه .... لم ير الشمس منذ أيام وقليل من الطعام والشراب كان نصيبه، فضعف المراقبة الطبية علي جعلني أتفرغ تماما لقهره و لاذلاله" [52]

كما نجد الرواية محملة بأصداء الجسد ورغباته المفعمة بالحب "انا الجسد الذي ولد من أعماق الشهوة ، فاغتسل جسدي كله بحرارة القلب الداق كمطرالغابات في الصيف .."[53] ، "جسد تعبره تيارات الرغبة بلاانقطاع "[54]والتي تتضح في تلك الرغبة الجامحة التي اعترت البطلة و جعلتها تقيم عالقة جنسية مع رجل آخر وتحمل منه لتؤكد في الرواية على أهمية الجنس وضرورة الاشباع الجسدي والروحي " فلا قيمة للحياة دون الجنس و لا جدوى للذكورة و الأنوثة دون فعل التواصل الجنسي الكامل"[55] . وتقول في موضع آخر : "أتعرفين ما هو الجنس يا ورد إنما الجنس صلاة في ملكوت العراء خشوع في سماوية الشهيق " [56] ، "خالد يقول أن الجنس وحده من يلملم المرأة "[57] و تقول أيضا : "و لا مسافة تقصل الجسد عن الروح ، ولا معنى للروح بلا جسد ...آه كم أشتاق إليك كي أقبلك يا شفاهي يا لحني"[58] .

النتائج:

من خلال هذا المقال توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

- ✓ ارتبطت تحولات الرواية بمختلف التغيرات الحضارية التي شهدها العالم ، فالتمظهرات الشكلية للإبداع تتنوع و المضامين تتعدد.
- ✓ تجسد الرواية معطيات الواقع الجديد بأشكال جديدة تعبر عن رؤيا في ظل انهيار القيم و هزيمة الإنسان العربي أمام تحديات الآخر.
- ✓ اقترن التطور في الرواية بالتجديد و البحث عن أشكال مغايرة وإبداع طرق جديدة تختلف عن القوالب الكلاسيكية من خلال إتباع سردية جديدة و تغيير جوانب فنية عديدة.
- ✓ سعت الكتابة الإبداعية الجديدة إلى كسر نمطية التعابير والقوالب الجاهزة لتدخل الكتابة السردية في منحى جديد تنتقل من تهشيم العمود السردي إلى التلاقح مع الفنون ولعب الضمائر والأزمنة .

- ✓ استطاعت الرواية المعاصرة أن تتجاوز الأشكال الثابتة في البنية و الاختيار و الحبكة و الخطية الزمنية .
- ✓ تغيرت طرائق الاشتغال على الزمن فبعد أن كان خطيا رتيبا قفز كتاب الرواية المعاصرة على هذه القداسة معلنين التمرد على أنساقه ، وعمدوا إلى تشويه خطيته وزعزعة رتابته.
- ✓ المونولوج كبنية سردية يشتغل ليرصد بواطن الشخصيات و يشكل آلية تبني الحدث و تكشف معالم الشخصية .
- ✓ السرد الحداثي يستمد خطابه من تجديد الرؤيا و تحرير المخيلة و تجاوز الحدود الوهمية التي تفصل الواقع عن اللاواقع .
- ✓ قدمت الرواية عوامل رمزية تتجاوز الواقع كإضفاء الطابع الاسطوري والعجائبي و ولوج عوالم الحلم و تجاوز شخصيات روائية متخيلة.
- ✓ الروائي المعاصر أصبح يتلاعب بأحداث الرواية ووقائعها ليوهم القارئ و يكسر أفق توقعاته ،
- ✓ القارئ لم يعد أمام مشهد حسن التنظيم ، بل أمام مغامرة فنية ،لا تقبل التعريف بطبيعتها.
- ✓ عمدت الرواية على كسر الطابوهات من خلال الاحتفاء بالجسد بين الإثارة والفن .

خاتمة

ومما سبق معالجته نخلصإلى أن الرواية العربية عرفت تطورا كبيرا سواء على مستوى الموضوعات التي عالجتها أو التقنيات التي وظفتها في التعبير ، هيأ لها هذا التطور موئلا مكنها من ملاحقة تحولات المجتمع ومواكبة صيرورته ، فابتكرت لنفسها تقنيات جديدة على مستوى اللغة و الأسلوب والبناء ،كما عملت على تحطيم الهياكل الاجتماعية المتحجرة لتكشف عن واقع جديد وحيز يتجاوز الأشكال المستهدفة ، وهكذا طفقت الرواية العربية تتجه نحو نماذج سردية أكثر تطورا و تجاوزا للتقليد والمألوف ، فصارت تتبنى تركيبة متنوعة من الطموحات الفنية على مستوى الشكل و كذا على صعيد التجديد البنيوي الذي يطال تلك الكيفيات التي تبنى بها الشخصيات و يتعالق فيها الزمن مع المكان وسائر تدخلات الروائي الضمنية في كسر وهدم مطابقة الرواية للواقع ،فالروائي المعاصر أصبح يتلاعب بأحداث الرواية و وقائعها ليوهم القارئ و يكسر أفق توقعاته ، و القارئ هو الأخير لم يعد أمام مشهد حسن التنظيم ، بل أمام مغامرة فنية ،لا تقبل التعريف بطبيعتها.

ويتضح أن الكاتبة سناء شعلان من خلال روايتها"أعشقني" رسمت خطا إبداعيا مارست من خلاله التجديد بكل تقنياته المتاحة شكلا ومضمونا فاستخدمت أكثر من تقنية في سياق البحث عن آفاق حداثية في أشكال الكتابة الروائية ، لتدخل الكتابة السردية في منحى جديد تنتقل من تهشيم العمود السردي إلى التلاقح مع الفنون و تشظي الأزمنة فقد استطاعت الرواية المعاصرة أن تتجاوز الأشكال الثابتة في البنية و الاختيار و الحبكة و الخطية الزمنية .

قائمة المراجع:

1. ادوارد خراط ، الحساسية الجديدة ، مقالات في الظاهرة القصصية ، دار الآداب ، ط1 ، بيروت ، 1993 .
2. أدونيس علي أحمد سعيد ،زمن الشعر ،دار الفكر ،ط1،بيروت ،1986 .
3. جيرار جينيت خطاب الحكاية ، بحث في المنهج ، تر: محمد معتصم وآخرون ، لمجلس الاعلى للثقافة ، ط2 ، 1997
4. سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة ، الوجود والحدود ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، ط1، الرباط، 2012 .
5. سناء الشعلان: الأساطير في روايات نجيب محفوظ، د.ط، د.ت، منشورات نادي الجسرة الثّقافي .
6. سناء شعلان ،السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن من 1970-2003م ، نادي الجسرة الثقافي و الاجتماعي .

7. شعلان سناء كامل ،اعشقني ، المملكة الأردنية الهامشية، ط3.، عمان الاردن ،(د.ت).
8. شعيب حليفي ،شعرية الرواية الفانتاستيكية، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ،ط1 ، الجزائر ، 2009 .
9. شكري عزيز الماضي .أنماط الرواية العربية الجديدة ، عالم المعرفة ،(د.ط) ، الكويت ، 2008 .
10. الصالح نضال، النزوع الاسطوري في الرواية العربية المعاصر ، الألمعية للنشر والتوزيع ، ط1 ،2010 .
11. عبد العاطي كيوان ، أدب الجسد بين الفن و الاسفاف . دراسة في السرد النسائي . مدخل نظري ، جامعة القاهرة ،مركز الحضارة العربية ،(د.ط) ،2003 .
12. عبد الله ابراهيم . السردية العربية الحديثة . تفكيك الخطاب الاستعماري و إعادة تفسير النشأة . المركز الثقافي العربي .. الدار البيضاء ،ط1،(د.ت).
13. عبد المالك مرتاض في نظرية الرواية ،بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ، ،(د.ط) الكويت ،1998 .
14. محمود الضبع ، الرواية الجديدة قراءة في المشهد العربي المعاصر ، المجلس الأعلى للثقافة، (د.ط) ، 2010.
15. مها حسن قصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، دار الفارس للنشر ، ط1 ، الأردن ، 2004 .
16. نبيل سليمان . جماليات وشواغل روائية، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العربي ، (د.ط)، دمشق،2003.

هوامش البحث:

[1] - محمود الضبع ، الرواية الجديدة قراءة في المشهد العربي المعاصر ، المجلس الأعلى للثقافة، (د.ط)، ، 2010، ص 11

[2] - نفسه ، ص12.

[3] - سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة ، الوجود والحدود ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، ط1،الرباط، 2012 ، ص ص91 .

[4] - محمود الضبع ، الرواية الجديدة قراءة في المشهد العربي ، مرجع سابق ، ص 9.

[5] - سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة ،مرجع سابق ، ص91.

[6] - أدونيس علي أحمد سعيد ،زمن الشعر .دار الفكر ،ط1،بيروت ،1986.ص287.

[7] - سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود ، مرجع سابق ،ص63.

[8] - نبيل سليمان . جماليات وشواغل روائية . دراسة منشورات اتحاد الكتاب العربي . دمشق.2003. ص43-44.

[9] - شكري عزيز الماضي .أنماط الرواية العربية الجديدة ، عالم المعرفة ، الكويت ، 2008 ،ص208.

10 - سناء شعلان ،السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن من 1970-2003م ، نادي الجسرة الثقافي و الاجتماعي، ، ص30 .

[11] - ينظر : ادوارد خراط ، الحساسية الجديدة ، مقالات في الظاهرة القصصية، دار الآداب ، بيروت، ط1993،1، ص11 -12

- شكري عزيز الماضي ،أنماط الرواية العربية الجديدة ، مرجع سابق ، ص119.[12]

- شعلان سناء كامل ،اعشقني ، المملكة الأردنية الهامشية، ط3.، عمان- الاردن ، ص19[13]

[14] - نفسه ، ص32.

- مها حسن قصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، دار الفارس للنشر ، الأردن ،ط1 ، 2004، ص111.[15]

- عبد المالك مرتاض في نظرية الرواية ،بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ،(د.ط) ، الكويت ،1998 ،ص225[16]

[17] - نفسه ، ص190 .

[18] - جيرار جينيت خطاب الحكاية ، بحث في المنهج ، تر: محمد معتصم وآخرون ، لمجلس الاعلى للثقافة ، ط2 ، 1997،ص51

[19] - - شعلان سناء كامل ،اعشقني ، ص17.

[20] - نفسه ، ص 18.

[21] - نفسه ، ص29.

[22] ـ نفسه ، ص77.
[23] ـ نفسه ، ص82.
[24] ـ نفسه ، ص82.
[25] ـ نفسه ، ص9.
[26] ـ نفسه ، ص26.
[27]ـ نفسه ، ص54.
[28] ـ نفسه ، ص17.
[29] ـ نفسه ، ص18.
[30] ـ نفسه ، ص40.
[31] ـ نفسه ، ص204.
[32] ـ نفسه ، ص19.
[33] ـ نفسه ، ص30.
[34] ـ شعيب حليفي ،شعرية الرواية الفانتاستيكية، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، ط1 ،الجزائر ، 2009،ص**65**.
[35] ـ نفسه ، ص**65** .
[36] ـ سناء شعلان ، السرد العجائبي ، مرجع سابق ،ص28 .
[37] ـ ـ شعلان سناء كامل ،اعشقني ، ص19.
[38] ـ نفسه ،ص76.
[39] ـ نفسه ،ص43.
[40] ـ نفسه ،ص48-49 .
[41] ـ نفسه ،ص127،48 .
[42] ـ الصالح نضال، النزوع الاسطوري في الرواية العربية المعاصر، الألمعية للنشر والتوزيع ، ط1 ،2010 ، ص7.
[43] ـ نفسه ، ص 49.
[44] ـ شعلان سناء كامل ،أعشقني ،ص120.
[45] ـ سناء الشعلان: الأساطير في روايات نجيب محفوظ، دط، دت، منشورات نادي الجسرة الثّقافي، ص: 174 ،175.
[46] ـ شعلان سناء كامل ،أعشقني، ص175.
[47] ـ نفسه ، ص 82-83.
[48] ـ سناء الشّعلان: الأسطورة في روايات نجيب محفوظ، مرجع سابق ، ص326.
[49] ـ سناء الشّعلان: أعشقني، ص: 176 ،177.
[50] ـ د.عبد العاطي كيوان ، أدب الجسد بين الفن و الاسفاف . دراسة في السرد النسائي . مدخل نظري ، جامعة القاهرة ،مركز الحضارة العربية ،2003 ، ص15.
[51]ـ نفسه ، ص30.
[52] ـ ـ نفسه ،.ص**56**.
[53]ـ نفسه ، ص201.
[54] ـ نفسه ، ص201.
[55] ـ ـ نفسه ،. ص**95**.
[56] ـ نفسه ، ص192.
[57] ـ نفسه ، ص195.
[58]ـ نفسه ، ص192.